له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان كل واحد قد اختلط بالاخر الثاني في قوله
انكم من صالح المسلمين وبكم قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب
الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببهما اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا
على الله تعالى فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى
به في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام
الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا
هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور علماء هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر
وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعة
واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب
العلو وجاهدوا انفسهم بالتبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ
بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا
لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش فقلعه
الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول
الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد طهرها فاذا هو بها في غفلته
وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري وكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن
المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها
وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار
الصيت في الاقطار وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم
والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن
اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين
والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال الجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد
والتمكن به من اطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال
بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز
وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه
يتوسوس عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه
يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره ويبنوا قلبه عن
من عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه

يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص
على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبوله لهم لاخلاصهم وصدقهم وقيامهم بحق العلم
فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد من نفسه تصحيح
النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقد في
العزلة والاخفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني ادم
انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله تعالى
لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه
الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله تعالى عالم
بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى العريضة
الطويلة واما ضمنا بالطعن على غيره ليستبين من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما
ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزوه الى قائله وما
يستحسنه لعله لا يعزوه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير
كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها
وتحسين نظمها كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اجذب
الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تعالى الى
نبي زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين
اذا اجتمعوا ظن كل واحد على نفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم
فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم
ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف
الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه
لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بانه
مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات
كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا
تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك
ويقول انما غضبت لدين الله تعالى لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به
وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين
وسر قلبه راض به ومريد له والله تعالى مطلع عليه في ذلك وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)